الباب الثالث

أهمية الإبل فى تنمية الصحراء

لما كانت زيادة الرقعة الزراعية من خلال توجهنا لتنمية الصحراء يمثل محورًا هامًا للتوسع الزراعى الذى أصبح هدفًا وأملاً ينعقد عليه ما يمكن تحقيقه من برامج التنمية المتكاملة فى مناطق جنوب الوادى وسيناء والساحل الشمالى . فإن تسخير كل عناصر البيئة الصحراوية فى تناغم وتوافق يشتمل على ما تزخر به هذه المناطق من إمكانيات مائية وموارد أرضية وغطاء نباتى ومراعى مفتوحة ومتنوعة وثروة حيوانية واعدة . وبالتالى إمكانية إقامة مشروعات تكاملية متعددة الأهداف سوف يؤدى بطبيعة الحال إلى التنمية البشرية التى تعود بالخير والنماء على المجتمعات البدوية والصحراوية على وجه العموم .

ولبيان دور الإبل كأحد عناصر البيئة الصحراوية الهامة فى هذه التنمية نلخص الحقائق العلمية التالية :

١ – تلاؤم توزيعها النسبى مع التوزيع الجغرافى والسكانى .

٢ – قدرتها الفائقة على التأقلم والتحمل للضغوط البيئية القاسية .

٣ – لاقتصاديات استخدامها للماء والغذاء .

٤ – لإمكانياتها الإنتاجية الهائلة من اللبن واللحوم والوبر والجلود .

٥ – لخواصها التناسلية الجيدة .

٦ – لقدرتها على مقاومة الأمراض .

٧ – لاتساع مرعاها ومحافظتها على بيئتها الصحراوية .

٨ – عدم التنافس فى تغذيتها ومرعاها مع أجناس الحيوانات الأخرى أوالإنسان فى مصادره الغذائية [شكل رقم (٦)].

٩ – لأنها لا تخلق تصحرًا .

١٠ – لأنها الرصيد الإستراتيجى وحيوان الأمن الغذائى للحياة فى الصحراء حينما يشتد الجدب والجفاف .

١١ – أن المزيد من سعة المرعى وتعدده وتنوعه أمام الإبل ناشئ من سرعته النسبية أثناء رعيه كأسلوب رعوى .

مما يساهم فى زيادة ما يتحصل عليه الجمل الراعى لمساحة معينة يوجد بها مصدر واحد للماء (بئر) . الأمر الذى يجعل من الصعب أن يتحول مرعى الإبل إلى منطقة جدباء إلاّ وقد انتقل إلى مصدر آخر للماء .

١٢ – نظرًا لطول ساقى الجمل ولطول رقبته . فإنه يرعى قمم الأشجار وأجزاء النباتات وأنواعها التى لا تطولها أو تستسيغها أجناس الحيوانات الرعوية الأخرى مما يجعل مرعى الإبل مختلطًا مع هذه الأجناس .

وإذا كان تعداد الإبل فى العالم العربى يزيد على (٦٣٪) من التعداد العالمى الذى يفوق الـ (٢٠,٦ مليون) رأس . منها (٣,١ مليون) من ذات السنامين . والباقى أكثر من (١٧,٥ مليون) رأس من الجمل العربى يوجد فى مصر منها أكثر من (٢٣٥ ألف) رأس يعيش معظمها فى صحراء مصر . فإن هذا التعداد يمثل أهمية كبرى بالنسبة لنا إذا علمنا أن تعداد الحيوانات المزرعية الأخرى لدينا يمثل جزءًا يسيرًا جدًا من التعداد العالمى مقارنة بالإبل وذلك على الوجه التالى :

١ – تعداد الماعز فى العالم العربى يمثل (١٤,٢٪) من التعداد العالمى للماعز .

٢ – تعداد الأغنام فى العالم العربى يمثل (٨.٨٪) من التعداد العالمى للأغنام .

٣ – تعداد الأبقار والجاموس فى العالم العربى يمثل (١,٩ – ٢,٩٪) من التعداد العالمى لها .

٤ - ولكن تعداد الإبل فى العالم العربى يمثل (٦٣٪) من التعداد العالمى للإبل [شكل رقم (٢)].

ومن ذلك تتضح أهمية الإبل لمصر والعالم العربى أنها بقدر مسئولية مصر والعالم العربى نحو تنميتها وليست مسئولية الآخرين . لأن أهم الدول استهلاكاً للحوم الإبل هى على التوالى : السعودية ثم مصر ثم ليبيا .

إلاّ أن مصر هى أولى دول العالم قاطبةٍ إنتاجًا لبحوث الإبل والإهتمام بعلومها كمًا ونوعًا .. ولكننا حتى الآن .. لم نستثمر هذا الجهد والإنتاج العلمى القيم والغزير فى التطبيق العملى على صورة مشاريع لتنمية الإبل والنهوض بها والإستفادة من إمكانياتها الهائلة من أجل الإنتاج الاقتصادى للحوم والألبان والوبر والجلود بالوسائل العلمية التى تطبق النظم الحديثة للإنتاج والتجميع والتسويق والتصنيع وتحسين مستوى المنتجات وإقامة الصناعات الصغيرة عليها ورفع دخل المربى والمستثمر [شكل رقم (٣)].

إن بمصر مناطق واعدة بمثل هذه المشروعات فى الساحل الشمالى وسيناء وجنوب الوادى . حيث يوجد بمنطقة حلايب وشلاتين وحدها أكثر من (٧٠ ألف) رأس من الإبل تمتلكها قبائل العبابدة والبشارية والرشايدة . وتبلغ كثافة الإبل بالنسبة للثروة الحيوانية فى هذه المنطقة أكثر من (٣٦٪) كأعداد للحيوانات وليس كوحدات حيوانية . وأن نصيب الفرد الواحد أكثر من (أربعة رؤوس من الإبل) فى مقابل (خمسة) من الأغنام و (اثنان) من الماعز . وفى الساحل الشمالى من رأس الحكمة وحتى سيدى برّانى تمتلك (١٥ ألف أسرة) أكثر من (١٧ ألف رأس) من الإبل .

حيث يرتبط موسم التلقيح بتوفير الغذاء والحالة الصحية للحيوان وحيث يمكن تلقيح الناقة بعد الولادة بحوالى (٣ شهور) . ويخصص ذكر واحد لكل (٣٠ ناقة) ويصل إنتاج الناقة الحلوب من اللبن أكثر من (٦ كيلو جرام) لبن فى اليوم بعد رضاعة المولود حيث يستخدم فى الشرب طازجًا ولعمل الزبدة .

وفى فصل الربيع وبعد موسم الأمطار وجريان السيول تتغطى مجارى الوديان الجبلية وامتدادها فى السهل الصحراوى بغطاء كثيف من النباتات الحولية علاوة على النموّات الحديثة للأنواع المعمرة (وهى كميات من المادة الخضراء تفوق احتياجات الثروة الحيوانية خلال موسم الربيع) . مما يستوجب ادخال نظام السيلجة لدى المربين والمهتمين بالثروة الحيوانية والمراعى لحفظ الزائد عن حاجة الحيوان من المادة الخضراء فى فصل ومواسم الرخاء لاستخدامها فى مواسم الجفاف . كما يمكن الاستفادة من الكم الهائل من أنواع النباتات قليلة أو عديمة الإستساغه فى حالتها الطازجة عن طريق تحويلها إلى سيلاج وبذلك يمكن توفير مبالغ طائلة ينفقها المربون لإستجلاب أعلاف من مناطق أخرى لتغذية قطعانهم والمحافظة عليها وعلى إنتاجيتها .

إن الأكثر أهمية هو تركيز منتجات الإبل من ألبان ولحوم ووبر وجلود ..الخ وتوافرها فى المناطق الصحراوية حيث لا تستطيع أجناس الحيوانات المزرعية الأخرى أن تقوم بنفس الدور الذى يقوم به الإبل من حيث القدرة على التحمل وفى نفس الوقت القدرة الفائقة على الإنتاج الوفير وبأقل التكاليف والأعباء .

وبذلك .. فإن الإبل تمثل أحد العناصر الهامة فى المنظومة الصحراوية . وأنها بحق حيوان الأمن الغذائى لحياة الصحراء والرصيد الإستراتيجى للمربى . وأن تنميتها يعدُّ ضرورة اجتماعية وفى ذات الوقت أهمية اقتصادية مربحة . وذلك عن طريق تعظيم الإستفادة من إمكانياتها الإنتاجية العالية وتقليل الفاقد والمهدر من طاقاتها الفريدة فى إنتاج اللبن واللحوم والوبر والجلود بالإضافة إلى تحسين المرعى بما تخلفه من أسمدة عضوية عالية القيمة غير ملوثة للبيئة غير ضارة بصحة الإنسان مثلما تسببه الأسمدة الكيماوية نظرًا لطبيعة رعيها النبيل وعدم تنافسها مع أجناس الحيوانات الرعوية الأخرى أو الإنسان فى مصادر موارده الغذائية من حبوب وخلافه .

إن إقامة المزارع الرعوية لتنمية وإنتاج الإبل حيث تطبق فى هذه المزارع أحدث ما توصل إليه العلم فى هذا المجال وحلٌ مشاكل الإنتاج التى قد تطرأ على أرض الواقع العملى بالأسلوب العلمى للارتقاء بمستوى الإنتاج كمًا ونوعًا وبأداء اقتصادى أمثل .. كل هذا هو أمل مطلوب تحقيقه [شكل رقم (٤)].

حتى نتوصل إلى إنشاء مركز لبحوث الإبل يعطى هذا الكائن حقه الذى أراده الله له حيث قال سبحانه : **﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾** . . .